رعاية الأيتام وبناء أسرهم في أثناء الحرب
وتجلياتها الإنسانية في نهج البلاغة

Caring about orphans and build their families
and their Humanism images
in Nahj- Al Balaghah

الباحثة

كفاح محمد علي الحداد

الجمهورية الإسلامية في إيران

By Kifah Muhammad Ali Al- Haddad.
Islamic Republic of Iran

ملخص البحث

يتناول البحث التعريف باليتيم والظروف الخاصة التي يعيشها بعد موت أبيه والمشاكل التي يعاني منها والتي تتمثل في غياب الأب الذي يمثل الأمان الاقتصادي والاجتماعي للأسرة والقائم بأمرها، ومن البديهي أن هذا الغياب سيحدث أزمة أسرية ونفسية واجتماعية ربما لا يستطيع اليتامى الصغار فهمها أو التكيف معها بسهولة، خاصة في وقت الحرب حيث يزداد عدد اليتامى الذين قد يكونون من أبناء المقاتلين والمجاهدين أي أبناء شهداء الوطن، والذين يتوجب رعايتهم آنيا لما لذلك من أثر إيجابي على المقاتلين أنفسهم والمرابطين في سوح الوغى، وقد يكون اليتامى أبناء الضحايا من المدنيين الذين أما أن يكونوا قد احتجزوا كرهائن ثم قتلوا أو يكونوا في حصار تحت الرصاص، هذا فضلاً على اليتامى الذين قضى آباؤهم نتيجة الحوادث والكوارث الطبيعية كالمرض وحوادث السيارات وغيرها.

ويستعرض البحث كذلك أهمية رعاية اليتيم في الإسلام كما ورد في نصوص نهج البلاغة وانعكاس هذه الرعاية نفسيا واجتماعيا ودينيا وتربويا على المجتمع وعلى المقاتلين وعلى الأيتام أنفسهم، إذ أن رعاية هؤلاء اليتامى تؤدي إلى زيادة التعبئة المعنوية للمقاتلين لما يتضمنه من شعور بالأمن على مستقبل أسرهم وأولادهم ناهيك عن زيادة الإيمان بمصداقية الحرب التي يخوضونها وبأنهم محط رعاية الله والمجتمع أيضا. ويعرض البحث للنصوص الواردة في سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في تعامله مع الأيتام وانعكاس ذلك تربويا عليهم وكذلك يعرف البحث بالخطوط الأساسية في تعامل أمير المؤمنين (عليه السلام) مع اليتامى، التي تتضمن تحديد أعمارهم واكرامهم واشباع الحاجات النفسية والفسيولوجية لهم وأهمية الاستمرار في رعايتهم.

This research is dealing with the definition of Orphans and especial circumstances that he us living with it after his father death and problems that he is suffering from in absence of the father who represent social and economical safety for the family and who is responsible for it. It's obvious this absence will cause a social, family and psychological problems. Maybe some of these little orphans can not understood or adept with it easily. Specially during the ear when the number of orphans increases they art sons of fighters that means sons of homeland's martyrs who must caring about them because that causing a positive effect for the fighters themselves who they are fighting at the battle field and these orphans maybe they are sons of victims from civil people who they are either arrested as hostages and killed at a siege at gunpoint in addition of that the orphans who lost their fathers by accidents and natural disasters as illnesses and car's accidents etc.. also the research showing the importance of orphans caring in Islam and as it was written in the texts of Nahj Al- Balaghah and the reflection of this caring educational, religious, social and psychological on society, fighters and orphans themselves. So that caring about these orphans leads to lifted their spirits (fighters) for what it contains from feeling of safety about their families and sons future in addition of increase believing in reality of their war and they are in god and society care and this research is showing coming texts from Imam Ali biography (peace be upon him) in his treatment with orphans and the reflection of that educational on them and the research is giving knowledge about headlines in Imam Ali (peace be upon him) treatment's with orphans which contains limiting their ages and honor them and satisfy their psychological need and the importance of keeping care about them it also giving knowledge of upbringing patterns that he has reported as upbringing with ignored and upbringing with forgiving and upbringing with playing and many others and lastly it presents a general recommendations.

مدخل

يمثل الأيتام شريحة عامة موجودة في كل المجتمعات الغنية والفقيرة والمتطورة والنامية، وهي أيضاً إحدى الشرائح الهشة في المجتمع التي يمكن التسلط عليها أو سلب حقوقها أو ظلمها بسهولة لضعف القدرة الدفاعية عنها كونها تمثل أفراداً قاصرين يفتقدون إلى السند الأسري الحقيقي المتمثل في الأب الذي يمثل الأمن الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، والأمر الآخر إن هذه الفئة هي من الشرائح الاجتماعية ذات الأعمار الصغيرة ومن ثم فهي شريحة ضعيفة من حيث البناء والقدرة وهي أيضا لم تصل إلى مرحلة الوعي بالأوضاع الاجتماعية بما في ذلك الظواهر السلبية فيه مثل ابتزاز الضعفاء أو استغلال الصغار، وبتعبير آخر إنها شريحة تحتاج إلى الحماية والرعاية والصيانة كونها تمثل أمل المجتمع ومستقبله الآتي وعلى هذا يفترض أن تتوفر لها الأرضية السليمة لنجاح عملية التنشئة الاجتماعية التي من ضمنها تهيئة مستلزمات عملية التربية المادية والمعنوية مما يكون لها عونا على عبور مرحلة خطيرة ومؤلمة.

ولهذا جاءت التوصيات القرآنية والاحاديث النبوية بأهمية رعاية الأيتام، وذلك كي يعيش اليتيم بأمن وأمان ريثما يستوي عوده ويشتد ساعده.

من هو اليتيم

اليتم: الإنفراد، واليتيم -الصبي أو الولد: فقد أباه قبل البلوغ. والجمع يتامى وأيتام، فاليتم في اللغة له معانٍ منها: الانفراد والفقد والانقطاع وكلها معانٍ تؤثر على وضع اليتيم المادي والمعنوي على حد سواء، وبمعنى آخر فاليتم له أعظم الأثر على نفس اليتيم ومن

ثم ينعكس على سلوكه[1].

واليتم في الناس: فقدان الصبي أباه قبل البلوغ.

يقول المفضل: أصل اليتم الغفلة، وبه سمي اليتيم يتيماً لأنه يتغافل عن بره[2].

اليتيم بالمعنى الاصطلاحي الفقهي

يعرف اليتيم عند الفقهاء بأنه اسم لمن مات أبوه وهو لم يبلغ الحلم، فكل صغير مات أبوه قبل سن البلوغ هو يتيم سواء كان عنده مال أم لا وقد عرَّف أمير المؤمنين (عليه السلام) اليتيم بقوله (عليه السلام): عن عليّ (عليه السلام) عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «لا يُتْم بعد الحلم»[3].

على هذا يمكن القول أن اليتيم هو الطفل الذي فقد أباه وهو لم يبلغ سن البلوغ، ويكون سن البلوغ للبنت بعد اكمال تسع سنوات قمرية وللذكر بعد اكمال خمسة عشر عاما قمريا، بمعنى أن اليتيم يكون عمره قبل هذه السن.

ويمكن تقسيم اليتامى على نوعين:

النوع الأول: هم أبناء الشهداء الذين استشهد آباؤهم إما في جبهات القتال أو نتيجة مقارعة الطواغيت والحكومات الظالمة فقضوا نحبهم على أعواد المشانق أو في السجون أو المقابر الجماعية.

النوع الثاني: هم الذين مات آباؤهم نتيجة حوادث طبيعية كالمرض أو حوادث السيارات وغيره.

اليتيم في القرآن الكريم

جاء ذكر اليتيم في القرآن الكريم تارة للتعريف بحقوقه وأخرى لتبني الآليات السليمة في التعامل معه.

قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ

﴿الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

قوله تعالى ﴿كَلاَّ بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾[٥].

قوله تعالى ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[٦].

قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[٧].

قوله تعالى ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[٨].

قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾[٩].

قوله تعالى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[١٠].

والملاحظ أن القرآن الكريم لم يخاطب اليتيم نفسه إنما خاطب المسؤولين عن تربيته والمحيطين به كذلك خاطب باقي شرائح المجتمع. فضلاً عن أن القرآن الكريم أدان الظواهر الاجتماعية الخاطئة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي وعمل بها المسلمون الأوائل قبل نزول النصوص الدينية الداعية إلى رعاية اليتيم مثل دعّ اليتيم ومنعه الطعام وأكل مال اليتامى ظلما إلى غير ذلك. وكلنا يعلم إن الآيات من سورة الانسان قد نزلت في أهل بيت العصمة (عليهم السلام) في أمير المؤمنين وزوجه فاطمة الزهراء وولديه ريحانتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام). والملاحظ أن ذكر اليتيم جاء مع ذكر المسكين والأسير وهؤلاء كانوا في أزمة خانقة بسبب الجوع فطرقوا باب الوصي (عليه السلام) ولثلاث ليال متواليات فنزل الذكر الحكيم يعظم هذا العطاء في سورة الدهر، وقد جاء الترادف (مسكينا ويتيما واسيرا) للتعريف بالشرائح

الضعيفة في المجتمع ولإلفات النظر إلى أهمية برّهم وإطعامهم كون السورة كلها نزلت في الثناء على آل البيت (عليهم السلام) لما قدموه من إيثار لإطعام هؤلاء الثلاثة رغم أنه كلفهم المبيت على الطوى.

اليتيم في السنة النبوية الشريفة

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من مسح يده على رأس يتيم ترحما، كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة»(١١).

وعنه(صلى الله عليه وآله) أنه قال: «إن في الجنة داراً لا يدخلها إلا من فرح يتامى المؤمنين»(١٢).

روي أنّه لما استشهد جعفر بن أبي طالب، أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسماء فقال لها: «أخرجي لي ولد جعفر فأُخرجوا إليه فضمّهم وشمّهم»(١٣).

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة إذا اتقى الله عزّ وجلّ وأشار بالسبابة والوسطى»(١٤).

عن عجلان: قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): من أكل مال اليتيم؟ فقال: «هو كما قال الله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾- قال هو من غير أن أسأله- من عال يتيماً حتى ينقضي يتمه أو يستغني بنفسه، أوجب الله له الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار»(١٥).

عن سماعة بن مهران قال سمعته (عليه السلام) يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ وعد في مال اليتيم عقوبتين أمّا أحدهما فعقوبة الآخرة النار، وأمّا عقوبة الدنيا فهو قوله عزّ وجلّ ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾(١٦)». يعني بذلك ليخش أن أخلفه في ذريّته كما صنع هو بهؤلاء اليتامى(١٧).

عن النبي (صلى الله عليه وآله): «من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنّة البتة، إلّا أن يعمل

ذنباً لا يُغفر»[١٨].

لماذا الكلام عن اليتامى؟

سؤال يطرح نفسه دوما وربما نجد أنفسنا بحاجة للوقوف عنده:

بداية تمثل الطفولة أهم مراحل الحياة وأجملها وهي تلقي بتبعاتها على كل المسيرة الإنسانية، فإذا كانت هذه الطفولة معجونة بالحزن والأسى نتيجة غياب احد ركني التربية الأساسية فإن الآثار تمتد مع امتداد العمر لأن عملية التربية تبدأ مع الطفل حين ولادته وتستمر نتائجها مدى الحياة.

إن الاهتمام باليتيم يساعد على توجيه النظر إلى هذه الفئة العاجزة من أجل تأمين التزاماتها الحياتية والمالية، فاليتيم لا يستطيع التعبير عن حاجاته أو ما يريد، وبهذا نعرف لماذا وجه القرآن الكريم الخطاب لمن هم يحيطون باليتيم وليس إلى اليتيم نفسه.

ولأن اليتيم لا يفهم حقيقة الموت فقد يتصور أن غياب الأب نتيجة لسوء تصرفاته هو كأن يكون قد ألح في أمر ما قبل وفاة الأب مما يجعله يشعر بالذنب طوال حياته، ومشكلة اليتامى (خاصة الصغار منهم) أنهم لا يفهمون معنى الغياب الابدي.

بعض علماء التربية يجعلون تصنيف الطفل اليتيم ضمن فئة ذوي الاحتياجات الخاصة التي تستعمل للأطفال المعاقين، إذ يعتبرون غياب الأب أو الأم اعاقة للعملية التربوية ومن ثمَّ فهؤلاء بحاجة إلى رعاية مكثفة لإعانتهم على التكيف ضمن الأزمة التي يمرون بها.

إن أهم مشكلتين يعاني منها اليتامى هي:

(١) افتقادهم لمصدر التوجيه والضبط والقانون المتمثل في سلطة الأب.

(٢) افتقادهم للأمن الغذائي

والحماية الاقتصادية باعتبار أن الأب هو مصدر تأمين حاجات الأسرة الاقتصادية.

بما يعني إن الأسرة قد تتعرض للفقر والحرمان بسبب غياب الأب وهو ماوجدناه في كثير من الحالات حيث يعتري أسرة اليتيم والأرملة الفقر مما يدفع بالأسرة إلى دفع هؤلاء اليتامى إلى سوق العمل منذ الصغر بما يعني إنهم أجبروا على الانسلاخ عن طفولتهم ودخول عالم الكبار قبل أن يصلوا إلى السن التي يستطيعون فيها العمل لعدم اكتمال البناء الجسدي والعقلي والادراكي، وتتعرض الكثير من البنات اليتيمات إلى الزواج القهري ما إن تصل إلى سن البلوغ لعجز أسرتها عن تأمين حاجاتها الغذائية والاقتصادية ولهذا عدَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) «الفقر الموت الأكبر»[١٩].

فهو القائل لإبنه محمد بن الحنفية: «يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْه، فَإِنَّه الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْت!»[٢٠].

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ابتلي بالفقر فقد أُبتلي بأربع خصال: بالضعف في يقينه، والنقصان في عقله، والرقة في دينه، وقلة الحياء في وجهه»[٢١].

دور الأب في الأسرة

يمثل الأب مصدر الأمن الاقتصادي والأسري ووجوده يعني الحماية والدفاع عن الأسرة فضلاً عن أنه يمثل القانون والضبط في الأسرة باعتبار أن القوامية مسندة إليه. ولا ننسى أن الأب هو القدوة الصالحة لأولاده وله دوره في تشكيل الهوية الجنسية للأولاد الذكور فضلاً عن أنه السبب وراء نجاح البنات في الحياة لما يعززه من الشعور بالثقة والقوة والشجاعة عندهن، ومن ثمّ

فإن غياب الأب يؤدي إلى عدة آثار منها ضعف الثقة بالنفس والتردد والاضطراب السلوكي إضافة إلى الشعور بالنقص وتعزيز الشعور بالحرمان، وكثير من الأطفال يصابون بالاكتئاب حينما يفقدون آباءهم حتى أولئك الذين يشعرون بالفخر في اللحظات الأولى للرحيل كأن يكون الأب مجاهدا بطلا شهيدا لكنهم مع مرور الأيام ينتابهم الاكتئاب .وفي الرواية المنقولة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) مع اليتيم الحزين الباكي لأن الآخرين ينعتونه بأنه لا أب له بيان لهذا الحرمان فهو يبحث عن التعويض وإيجاد البديل.

وهناك الكثير من القصص والشواهد على أن حالات فقد الأب حتى وإن كانت قديمة الحدوث فإنها لا زالت مؤثرة حتى الآن وقد تركت بصماتها على حياتهم الحالية وتعمق احساسهم بالتوتر كلما تعرضوا إلى مفردات حياتهم السابقة حتى رغم مرور عقود من الزمن على غياب الأب.

وحتى على صعيد العلاقات الاجتماعية (خاصة عند الذكور) نجد أن هناك ضعفا وتلكؤا في العلاقات الاجتماعية سببه عدم وجود البديل المناسب الذي يسهم في بلورة هذه العلاقات وانضاجها بسبب تعدد البدلاء، ورغم أنه في كثير من الأحيان تصبح الأم هي الأب ايضا في وقت واحد إلا أن تأثير الجدود والأعمام والأخوال والأصدقاء يبدو جليا مما يؤدي إلى حدوث تداخل في العملية التربوية.

ويخطئ من يتصور أن حكاية الألم تنتهي حينما يصل الأولاد إلى سنين الرشد، فهم يبقون مع الذاكرة الأليمة التي عاشوها لطفولة حزينة. وكثير منهم لطول مدة المعاناة يصاب بالتوتر على صعيد الوضع

النفسي والاجتماعي وأحيانا يشعرون بالإهانة لكثرة المسح على رؤسهم وبطونهم خاوية!!؟ بل يشعرون بالذلة والاهانة في مواقف تبقى منحوتة في العقل الباطن.

لكل ماعرضناه يكون الطفل اليتيم هو حالة خاصة في المجتمع ويكون المجتمع مسؤولا عنه من خلال توفير فرص الحياة الكريمة له. بمعنى أن اليتيم (في حال اهماله) يغدو عاملاً من عوامل إيجاد الإعاقة النفسية والاجتماعية إضافة إلى أنه يسهم في زيادة نسبة الأسر الفقيرة في المجتمع فنظراً إلى أن الأب هو المسؤول عن توفير ما تحتاج إليه الأسرة من الشؤون الاقتصادية والمالية فإن غيابه قد يدفع الأسرة إلى دفع الاولاد إلى سوق العمل وهم صغار وهذا يعني ضياع سنيّ الطفولة والدخول إلى عالم الكبار قبل الاستعداد له جسميا ونفسيا وقد يؤدي في كثير من الأحيان إلى ترك الطفل للدراسة وانشغاله بأعمال مرهقة قد لا تدر عليه المال الكثير ويبقى يزاول هذه الأعمال حتى الكبر لعدم حصوله على التعليم المهني الكافي. وقد يؤدي حرمان الطفل من الأسرة نتيجة اليتم إلى عدم شعوره بالطمأنينة واحساسه بالوحدة والاغتراب حتى لو كان موجودا في جماعة.

بيد أننا لا ننسى إنه حينما تتوفر الأرضية المعينة للأيتام التي تلبي احتياجاتهم النفسية والعاطفيه فإن هؤلاء الصغار قد يصبحون ذوي مكانةٍ في المجتمع ويأتي الرسول الأكرم (ﷺ) ليكون النموذج الأسمى لليتيم الذي جعله اليتم يستشعر الآم الناس قبل بعثته الشريفة وفي الآية الكريمة ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[٢٢] بيان لبعض معاناته (ﷺ)، وهذه الآية تشير إلى

أهمية المأوى للأيتام بوصفه أحد عوامل الاستقرار والشعور بالكرامة.

الموت في عيون الصغار

واحد من أسباب معاناة اليتامى هو فهمهم وتفسيرهم لغياب الأب، وفي أحايين كثيرة تلجأ الأم إلى الكذب المستمر وتقول إن أباك سافر. ويبقى الطفل ينتظر وينتظر مع شعوره المتزايد بالامتعاض الشديد.إذ كيف تركه الأب دون أن يخبره؟ ولماذا غاب طويلا؟ إنه يفسر ذلك على أن الأب هجره (بإرادته)فهو إذا لا يحبه!!.. ولذلك تشجع التوصيات الحديثة على ضرورة اعلام الأطفال بموت الأب مباشرة بعد الوفاة وإن كان الأمر قاسيا لهم، كما في الرواية عن القطب الراوندي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال:

«إن خديجة لما توفيت جعلت فاطمة تلوذ برسول الله (صلى الله عليه وآله) وتدور حوله وتسأله: يا أبتاه أين أمي؟ فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) لا يجيبها، فجعلت تدور وتسأله: يا أبتاه أين أمي؟ ورسول الله لا يدري ما يقول، فنزل جبرائيل (عليه السلام) فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: إن أمك في بيت من قصب كعابه من ذهب، وعمده ياقوت أحمر، بين آسية إمرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام»[٢٣].

هذه الرواية تبين لنا كيفية اعلام اليتيم بالخبر المؤلم، إنه(صلى الله عليه وآله) أخبر ابنته إن أمها رحلت إلى الأبد ولكنه أعطى صورة جميلة للمكان الذي انتقلت إليه إنها في بيت من قصب كعابه من ذهب، فالطفل يتصور الصورة الجديدة ومن المؤكد إنها أجمل كثيرا عما كانت عليه حينما كانت في الدنيا فيقل الألم.

يطالع الأولاد صورة الموت في

ما يشهدونه من أحداث مثل موت طائر أو موت الجد الكبير في السن أو موت أحد المعارف، لكنهم لا يفهمون المعنى الأصلي له خاصة إذا كانوا في عمر السادسة أو أقل ولهذا يكون اليتم أشد قسوة على الأيتام الصغار لضعف الإدراك عندهم.

وكما ذكرنا سابقا أن الطفل الصغير لا يفهم معنى (رحل إلى الأبد) فكلمة الأبد لم يستوعبها عقله الصغير بعد بل إنه مازال قاصرا عن فهم أبعاد الزمان والمكان.

تؤدي شخصية الأم دورا كبيرا في إيصال المفهوم الصحيح للموت وآلية التعامل السليم معه وهذا هوالعامل الرئيسي المؤثر على حالة التاقلم عندهم.

ولأن الموت حدث مفاجئ في أغلب الأحايين فإن كثيرا من الأمهات ينشغلن بأمور الحداد والعزاء ولا يجدن الوقت الكافي للحديث مع الأبناء عن رحيل الأب وهذا مايضاعف من حدة الأزمة. ولا ننسى أن الأم هي أيضا بحاجة إلى رعاية نفسية واجتماعية ولكن للأسف يهمل هذا الجانب في مجتمعاتنا خاصة عند الأمهات الصغيرات، وربما يسهم وجود طرف آخر كالجد والعم والخال والأخ الكبير في تخفيف الشعور بالأزمة بالنسبة للأطفال. كما أن ظروف الموت هي أيضا مؤثرة على الأولاد. الآن شهداء الحشد الشعبي ترعاهم المرجعية والمجتمع وظروف التشييع مما يجعل الأبناء في وضع متوازن أحسن بكثير من أبناء شهداء النظام المباد الذين لم يحظوا بأجساد تدفن في قبور وعاشوا في أجواء ظاغطة كاتمة تمنع حتى من تفريغ الحزن بالبكاء.

اليتامى وقت الحروب

تعدّ الحروب واحدة من أقسى الكوارث التي تمر بها الأمم

والشعوب وتترك آثارها على الإنسان والأرض والحيوان، فضلاً عن كونها من عوامل تدمير النسيج الاجتماعي من خلال التشرد والنزوح و فقدان بعض أفراد الأسرة بالموت أو الأسر. وبما أن الأسرة هي الكيان الاجتماعي الأول في المجتمع فإن عوامل التفكك والتهديم تطال الأسرة في الحروب مما يؤدي إلى أضرار نفسية واجتماعية إضافة إلى الأضرار المادية وغالبا ماتكون التداعيات أخطر على الشرائح الهشة في المجتمع التي من ضمنها الأطفال والنساء وكبار السن وتكون الأضرار على الطفولة قاسية إلى أمد بعيد، إذ أن مرحلة الطفولة مرحلة بناء الشخصية واكتساب الطفل للقيم الاجتماعية السليمة والصحيحة. فالحرب تعني تدمير المدارس والمستشفيات مما يعني غياب التعليم والرعاية الصحية، والحرب تعني زيادة عدد الأطفال اليتامى والمشردين والمعاقين، وفي إحصاءات اليونيسيف فإن حروب العالم قتلت مليون طفل ويتّمت مثلهم، وأصابت ٤,٥ مليون بالإعاقة، وشردت ١٢ مليون وعرَّضت ١٠ ملايين للاكتئاب والصدمات النفسية، الجزء الأكبر من هذه الأرقام يقع في بلدان العرب والمسلمين مع الأسف !.

وبشكل عام تؤدي الحروب إلى إصابة الأطفال بالصدمات النفسية والخوف والشعور بالاحباط واليأس إضافة إلى أن الأحداث المؤلمة تبقى في ذاكرتهم على مر الزمن، وإن آثار الحروب على الأطفال قد لا تظهر كلها وقت الحرب لإنشغال الناس بها لكنها تطفو على المشهد الساخن حينما تضع الحرب أوزارها كما هو في الرواية التي سنذكرها عن أمير المؤمنين (عليه السلام) والمرأة التي فقدت زوجها في معركة صفين أي بعد انتهاء المعركة.

ولا ننسى أن الحرب وكذلك الحوادث والانفجارات قد تؤدي إلى يتامى فاقدين لكلا الأبوين وهنا تكون المصيبة أقسى وأكثر ألما إذ تزداد معاناة الأطفال وقد تؤدي إلى شعورهم بالاكتئاب الدائم أو الاغتراب. ولا ننسى أن الرسول (ﷺ) عاش يتيما من طرف أبيه فقط وكانت أمه معه إلى ست سنوات إضافة إلى كفالة جده وعمه. ومما يزيد من مرارة حال اليتيم هو الأمية التربوية التي تعيشها مجتمعاتنا أزاء المفاهيم التربوية بشكل عام وأزاء الأسس التربوية في التعامل مع اليتيم مما يزيد الطين بلة، فاليتيم في مجتمعاتنا يتكفله الأعمام والأخوال ليكون خادما لأولادهم وينعت بنعوت غير مناسبة ويستولى على أمواله إلى غير ذلك من الأخطاء التربوية التي تجد لها رواجاً في مجتمعات لا تهتم بأصول التربية السليمة.

وفي وقت الحروب تزداد الحاجة إلى رعاية الأيتام وذلك لأسباب منها:

(١) بما أن الكثير من الأولاد هم من أيتام المقاتلين فإن الحق الأول للشهداء المقاتلين هو رعاية أسرهم وأبنائهم.

(٢) إنَّ الاهتمام بالأيتام يجعل المقاتلين يندفعون للقتال وهم على اطمئنان كامل على مصير أبنائهم وأسرهم وأن هناك يداً ترعاهم وهذا يعزز لدى المقاتل نفسه الشعور بقدسية الأهداف التي يقاتل من أجلها.

اليتيم في السيرة العلوية المباركة

من عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر لّما ولّاه مصر قال: «وتعهّد أهل اليتم وذوي الرقّة في السن ممّن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه»[٢٤].

ومن وصية له (عليه السلام) للحسن

والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «الله الله فِي اَلْأَيْتَامِ فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ»[٢٥] [٢٦].

ويقول أيضا (عليه السلام): «أنا أبو اليتامى والمساكين»[٢٧].

ويقول أيضا: «بروا أيتامكم وواسوا فقراءكم»[٢٨].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنّه قال: «من ظلم يتيماً عقّ أولاده»[٢٩].

ويقول (عليه السلام): «من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأدى أمانته جعله الله في نوره الأعظم يوم القيامة»[٣٠].

ويوصي (عليه السلام) الحسنين (عليهما السلام) بقوله: «أوصيكما بتقوى الله... وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف»[٣١].

ويقول (عليه السلام) لأحد الولاة «فلما أمكنتك الشدة في خيانة الأمة، أسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم»[٣٢].

ويقول (عليه السلام) أيضا: بئس القوت اكل مال اليتيم»[٣٣].

يروي الكاتب المسيحي جورج جرداق القصة الآتية عن مناقب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ويقول معلقاً: (وأنا أكتب هذه القصة عن محبة علي (عليه السلام) وحنوه على الأطفال والأيتام انهمرت عيناي بالدموع، فابتلت الأوراق التي بين يدي وتبلل ما كنت كتبته والقصة كما يأتي:

ذات ليلة جاء الإمام علي (عليه السلام) بالطعام إلى أسرة فقدت معيلها وفيها أيتام، فوجد بين الأيتام طفلاً لا يهدأ، فسأله الإمام (عليه السلام) عن سبب ذلك. فقال الطفل: إن الأطفال يقولون لي أن لا أب لك. فقال له الإمام (عليه السلام): قل لهم إن علياً هو أبي وهذه شهادة واضحة.

وينسب للإمام علي (عليه السلام) قوله:

ما إن تأوهت من شيء رزئت به

كما تأوهت للأيتام في الصغر

عن زيد بن أسلم قال: كنت مع علي (عليه السلام) أمشي فانتهينا إلى إمرأة توقد تحت قدر لها فيه ماء وأولادها يبكون، فقال الإمام علي (عليه السلام): ما شأنهم يبكون؟ فقالت: هم أيتام وليس عندهم ما أطعمهم فأفعل هذا وهم يظنون إنه طبيخ حتى يناموا. قال: فقال لي: مر بنا إلى دار الدقيق فانتهينا إليه، فقال: أشلل علي، قلت: أحمل عنك، فقال من يحمل ذنوبي يوم القيامة؟ فحملها علي (عليه السلام) وقال: شأنك والشحم، قال: فو الله لقد رأيته ينفخ تحت القدر وأن لحيته لفي الرماد حتى طبخ، ثم قال للمرأة: شأنك والصبية.

فقلت: نخرج؟ قال علي (عليه السلام): لا أبرح حتى اسمع ضحكهم كما سمعت بكاءهم.

قال: فشبع الصبية فلهوا وضحكوا، ثم انصرف الإمام علي (عليه السلام).

عن حبيب بن أبي ثابت أنّه قال: جيء بمقدار من العسل إلى بيت المال، فأمر الإمام عليّ (عليه السلام) بإحضار الأيتام، وفي الحين الذي كان يقسم العسل على المستحقّين كان بنفسه يطعم الأيتام من العسل، فقيل له يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال: إنّ الإمام أبو اليتامى وإنّما ألعقتهم هذا برعاية الآباء[٣٤].

لماذا اهتم أمير المؤمنين (عليه السلام) برعاية الايتام؟

إحدى المعالم الواضحة في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هي رعاية اليتيم والاهتمام به وقد لقب أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه أبو الأيتام لاهتمامه بهذه الشريحة ورعايته لهم بشكل واضح وصريح، ولهذه الرعاية الخاصة عوامل عدة منها:

(١) في زمن الجاهلية لم تكن هناك

أي رعاية للأيتام بل كانت حقوقهم ضائعة فكان سلوك الإمام (عليه السلام) مع الأيتام حتى قبل توليه السلطة هو للتعريف بموقع ومكانة وأهمية رعاية اليتيم في الإسلام وبذلك كان للإمام (عليه السلام) دور كبير في إزاحة الأساليب الخاطئة والظالمة في التعامل مع اليتيم.

(٢) لا ننسى إن رعاية الأيتام هي صورة حاضرة في كل سيرة أهل البيت (عليهم السلام) وهي في الوقت نفسه صورة غائبة عن كل الخلفاء الذين حكموا سواء ما قبل الدولة الأموية أو ما بعدها. وقد كان لرعايتهم (عليهم السلام) لهؤلاء الأيتام أثر كبير في نشر الفكر القويم لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) وتأييد لواقعيتها واهتمامها بأحوال المجتمع.

(٣) إن رعاية اليتامى تسهم في التعريف بمسؤولية الأفراد والمجتمع والدولة إزاء اليتيم ليس كفرد بل كشريحة موجودة في المجتمع تحتاج إلى حماية ورعاية.

(٤) تسهم رعاية الأيتام في التعريف بحقوق الطبقة الهشة في المجتمع وذلك له أثر كبير في حماية حقوقهم ومصالحهم وإصلاح الظروف المحيطة بهم وإصلاح حالهم وتنمية مواهبهم.

(٥) ولتوجيه الاهتمام بتربية الأجيال الصالحة ضمن الأفراد الذين يعيشون في أسر غير كاملة حيث يغيب أحد الأبوين أو كلاهما مما يستوجب وجود البدلاء.

(٦) إن رعاية المسلمين للأيتام يسد أبواب الإنحراف عنهم وذلك لأنه يقطع الطريق أمام الانتهازيين والطامعين والمنحرفين والضالين الذين يستغلون الطبقات الضعيفة لمصالحهم الخاصة.

(٧) وأخيرا فإن الإمام (عليه السلام) هو الصورة العليا للإنسان الكامل

العابد المجاهد وكأنه (عليه السلام) من خلال رعايته للأيتام أراد أن يبيّن النموذج الإسلامي بأن الإسلام ليس دين عبادة وصلاة فقط بل إن المسلم الحقيقي هو الذي يتفاعل مع قضايا المجتمع والأمة ويعيش همومه.

ولا ننسى إنه حين يقوم أصحاب أعلى منصب حكومي برعاية اليتامى فإن الآثار الاجتماعية تكون أوسع من حيث تفعيل صورة القدوة الحسنة وأهمية التجرد عن الذات والنرجسية والأنانية والاهتمام بالمجتمع وتفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي.

الخطوط في رعاية الأيتام عند أمير المؤمنين (عليه السلام)

(١) تحديد العمر

عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: «**لا يُتْم بعد الحلم**»[٣٥]. أي أنه (عليه السلام) حصر اليتم بمرحلة الطفولة الأولى إلى الطفولة الثانية وقبل الوصول إلى سن البلوغ حيث تعدّ هذه أهم مرحلة من عمر الإنسان لما لها من دور تأسيسي في بناء شخصية الطفل وتنمية الضمير والتوجيه نحو القيم السليمة وهي أيضا مرحلة العجز، إذ لا يقدر الطفل على المطالبة بحقوقه ويتعرض لاستغلال الآخرين لأنه ضعيف ولا يمتلك القدرة البدنية والعقلية والقانونية. وتحرص الدول على توفير كافة مستلزمات النمو للأطفال في هذه المرحلة لما تتركه من آثار على حياتهم المستقبلية وعلى مدى إحساسهم بالسعادة والهدفية. وفي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «**يُرخى الصبي سبعا ويؤدب سبعا**»[٣٦].

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): «**احمل صبيك حتى يأتي على ست سنين، ثم أدبه في الكتّاب ست**

سنين، ثم ضمه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك، فإن قبل وصلح وإلا فخل عنه»[٣٧].

فالمطلوب تكثيف العناية باليتامى في هذه المرحلة وبعدها أي في مرحلة المراهقة الأولى والتي تبدأ تقريبا من سن عشر سنوات، إذ يصبح الطفل أكثر وعيا وإدراكا لمفاهيم الحياة وأكثر قدرة على الدفاع الأولي عن نفسه والاستعانة بالآخرين، وفي بعض الدول تستمر رعاية الأيتام إلى سن ال١٨ وهو سن الرشد العالمي، ومن المشاريع التي تقوم بها بعض المراكز على سبيل المثال هو تزويج اليتامى فيما بينهم خاصة الذين لا يجدون سكنا بعد مغادرتهم دور الرعاية فعلى هذا يجب أن نفرق بين تحديد سن اليتم وبين تقديم الرعاية لهم وبين الاهتمام بهم كإحدى شرائح المجتمع، ولعل المراد من تحديد عمر اليتيم أن متطلبات رعاية اليتيم كإسباغ الحب والحنان وتوفير الحاجات الأساسية لمعيشته تكون مطلوبة تحت عنوان رعاية اليتيم ولكن بعدها يصبح الأولاد ضمن شرائح المجتمع المستضعفة التي تحتاج إلى رعاية مستمرة إلى حين النضج ضمن مبدأ التكافل الاجتماعي.

(٢) بيان حالهم والتعريف بانكسارهم

ومن عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله) لمّا ولّاه مصر قال: «وتعهّد أهل اليتم وذوي الرقّة في السن ممّن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه».

وهذا تعريف بوضعهم العام إنهم لاحيلة لهم في شيء بل أنهم لا يقدرون على شيء لأنهم صغار وهذه مأساة اليتيم، أنه طفل صغير غير قادر على المطالبة بحقوقه أو تحصيلها وهو بحاجة إلى المحامي والمدافع عنه وليس هناك أفضل من القائمين على

شؤون الدولة في أن يقوموا بمراعاتهم وإنصافهم وتوفير فرص الحياة الطيبة لهم، فالاهتمام بالطفولة هو اهتمام بتنمية الموارد البشرية المستقبلية للبلد وهنا يكون ماجاء في عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله) بمثابة أمر رئاسي إلى أحد ولاته بضرورة الاهتمام بهذه الشريحة وهو أيضا توجيه النظر إلى ضرورة رعاية الأيتام.

لقد كان الإمام علي (عليه السلام) يحمل قلقاً وهمًّا بالنسبة للأيتام في المناطق البعيدة عن مركز خلافته ولهذا كان يعزز في وصاياه لولاته أهمية الاهتمام بالشرائح الفقيرة، يقول «ولَوْ شِئْتُ لاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، ولا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ»(٣٨).

فهذه التوصيات هي دعوة خالدة إلى الاعتناء باليتامى ومدارا تهم والرفق بهم.

(٣) اكرامهم

كرم الله تعالى الجنس البشري بقوله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(٣٩).

و قال (صلى الله عليه وآله): «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم، يُغفر لكم»(٤٠).

وقال علي (عليه السلام) موصياً كميل بن زياد (رحمه الله): «يا كميل مُر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم»(٤١).

وقال (عليه السلام): «فمن أخذ بالتقوى غربت عنه الشدائد بعد دنوها، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها»(٤٢).

بل إن أمير المؤمنين (عليه السلام) ليدافع عن النصراني حينما سلبت كرامته وألقي في قارعة الطريق ففي الرواية:

كان الإمام (عليه السلام) في شوارع الكوفة، فمر بشخص يتكفف وهو شيخ كبير السن، فوقف (عليه السلام) متعجباً وقال (عليه السلام): ما هذا؟ ولم يقل من هذا، و(ما) لما لا يعقل، و(من) لمن يعقل، أي أنه (عليه السلام) رأى شيئاً عجيباً يستحق أن يتعجب منه، فقال أي شيء هذا؟

قالوا: يا أمير المؤمنين إنه نصراني قد كبر وعجز ويتكفّف.

فقال الإمام (عليه السلام): ما أنصفتموه. استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه، اجروا له من بيت المال راتباً[٤٣].

وكل إنسان بحاجة إلى تعزيز الشعور بالكرامة عنده فكيف إذا كان طفلا محروما ممن كان يكسبه هذه الكرامة بشكلها الواسع لو كان حيا !.فالأب لأنه يمثل الأمن والقوة والحماية يعدّ أحد مصادر الشعور بالكرامة لدى الأبناء ولهذا يتفاخر الأبناء بآبائهم بل يتسابقون في إسباغ كل الصفات الكمالية عليهم من خلال سعة الخيال التي يملكونها. إن الطفل إذا ماشعر إنه إنسان مكرم محترم فإنه يعتز بنفسه وأسرته ودينه ويكون ذلك سبباً لخلاصه من عقد كثيرة أهمها عقدة الحقارة والشعور بالنقص.

ومن صور إكرام اليتيم في القرآن الكريم هو تأكيد القرآن الكريم على أهمية رعاية الأيتام، وخاطب في ذلك عموم البشر ولم يطلب من اليتيم شيئا! وفي سيرة الإمام علي (عليه السلام) مايؤكد هذا التكريم فهو (عليه السلام) يرسل إلى مالك الأشتر (رحمه الله) أمرا رئاسيا بأهمية متابعة شؤون اليتامى على الرغم مما هو عليه من المكانة العظمى يلاعبهم ويلاطفهم ويقوم بإطعامهم، فضلاً عن أنه يوصي بهم في اللحظات الأخيرة من عمره كما يوصي بالصلاة والقرآن!.

عن حبيب بن أبي ثابت أنه قال: جيئ بمقدار من العسل إلى بيت المال، فأمر الإمام علي (عليه السلام) بإحضار الأيتام، وفي الحين الذي كان يقسم العسل على المستحقين كان بنفسه يطعم الأيتام من العسل، فقيل له يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال: إن الامام أبو اليتامى وإنما ألعقتهم هذا برعاية الآباء(٤٤).

وقد أشرنا في النقطة الأولى حول تحديد عمر اليتيم إلى جوانب من التكريم ولا ننسى أن أيتام الشهداء يكونون بحاجة إلى تعزيز الشعور بالكرامة عندهم من خلال بيان منزلة آبائهم وبأنهم شهداء وبأنهم ضحوا من أجل المبادئ السامية، وفي الرواية: نظر الإمام علي (عليه السلام) إلى امرأة على كتفها قربة ماء، فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها، فقالت: بعث عليّ بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل، وترك عليّ صبياناً يتامى، وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة إلى خدمة الناس.

فانصرف وبات ليلته قلقاً، فلما أصبح، حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك.

فقال: من يحمل وزري عنيّ يوم القيامة؟.

ونرى اهتمام الإمام (عليه السلام) بحال المرأة وأيتامها بعدما علم أن أباهم استشهد في مأمورية بعثه بها.

(٤) العدالة مع الأطفال الآخرين

العدل مطلوب في كل جوانب الحياة وهو واحد من أهم أصول ومباني التربية الناجحة، وفي الحديث: نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى رجل له إبنان فقبل أحدهما وترك الآخر فقال له النبي(صلى الله عليه وآله): «فهّلا ساويت بينهما»(٤٥).

وعنه (صلى الله عليه وآله): «اعدلوا بين أبنائكم كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر

واللطف»[٤٦].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أدّب اليتيم ممّا تؤدّب منه ولدك وأضربه مما تضرب منه ولدك»[٤٧].

ما اروعها من كلمة! فرعاية اليتيم تحتاج إلى شعور أبوي سليم نحوه ولابد من مراعاة العدالة خاصة إذا كان هناك أطفال آخرون في البيت، فالجميع بانتظار التعامل السليم من المربي مع الجميع، فهذه البراعم الغضة تواقة إلى العدالة كي تنشأ التنشئة الاجتماعية السليمة ويكسر قلوبها غياب العدل وتبقى آثار ذلك مدى الحياة!.

إن غياب العدالة في التعامل يؤدي إلى الشعور بالغبن وبقتامة الحياة وغياب روح التفاؤل، إذ يشعر اليتيم بأن الحياة كلها ظلم حينما مات أبوه وحينما تعاملوا معه بتلك الصور المؤلمة، ولعل أهم شيء نحتاجه في التعامل مع اليتيم هو زرع روح الأمل وبيان أن الدنيا فيها ابتلاءات وفيها اشراقات كي يتخلص من الصورة السوداوية التي عشعشت في مخيلته.

وهناك أساليب خاطئة في التعامل مع الأيتام (وغيرهم) منها الحماية الزائدة له وتدليله بشكل تذوب فيه شخصيته الإنسانية حيث يصبح معتمدا اعتمادا كليا على الآخرين وكذلك تضعف عنده القدرة على تحمل المسؤولية وانخفاض ثقته بنفسه، ومن الأساليب الخاطئة الأخرى هو تحميله ما لا طاقة له به وإلقاء المهام عليه مع اعفاء أبناء الكفيل من هذه المهام مما يولد عنده الشعور بالظلم والتعاسة أو التفريق في التعامل بينه وبين اطفال الشخص الراعي.

زيادة على أن التذبذب في المعاملة يربك الأطفال، وهناك أسلوب خاطئ آخر هو المن على الطفل

اليتيم، فالكفيل يكرر دائما بأنه يرعاه ناسيا وأن هذا العمل مرهق له وبأنه لو لم يكفله لكان خيرا له!. ولا أدري هل الأيتام بحاجة إلى رعايتنا كي يكبروا بصحة أم إننا نحن الذين بحاجة إلى زيادة روافد البر كي نأخذ أجورنا في الحياة الأخروية وهو أشد ما نحن بحاجة إليه، كما قال الإمام عليّ (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من عال يتيماً حتّى يستغني، أوجب الله عزّ وجلّ له بذلك الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار»[٤٨].

إن الطفل الصغير يخزن الكلمات التي يسمعها، بل إنها تعيش معه طوال حياته، نحتاج إلى تعلم اللطف والرحمة في التعامل مع الصغار كي يكون هناك خط واضح في التربية دون محاباة ودون انحراف ومن خلال تطبيق العدالة يتضح لنا صدق الكفيل لليتامى بأنه يروم الخير لهم ويحرص عليهم.

(٥) توفير الحاجات النفسية والعاطفية والفسيولوجية

الحاجة هي حالة من النقص والعوز والافتقار واختلال التوازن تقترن بنوع من التوتر والضيق لا يلبث أن يزول متى قضيت الحاجة وزال النقص سواء أكان النقص ماديا أو معنويا، فالفرد يكون في حاجة إلى الطعام متى أعوز جسمه الطعام وفي حاجة إلى الأمن متى احتواه الخوف وافتقر إلى الامن[٤٩].

وكما هو معلوم فإن الحاجات الفسيولوجية ترتبط بتوفير الطعام والملبس وغيره، في حين أن الحاجات النفسية والعاطفية تتمثل في الحاجة إلى الأمن والحب والتقدير والشعور بالانتماء واللعب والحاجة إلى المعرفة والحاجة إلى اكتساب مهارات الحياة اليومية والحاجة إلى اكتساب القيم الدينية والأخلاقية للجماعة وغير ذلك.

والطفل اليتيم يعاني من تخلخل في اشباع هذه الحاجات بسبب غياب الأب وهذا يعني الحاجة إلى توفيرها عند المهتمين برعايتهم، وتأتي الحاجات الفسيولوجية في أسفل هرم ماسلو كما في شكل (١) وهي تشمل الطعام والملبس والمسكن وغيره وغالبا ما يكون الأب هو المسؤول عن توفيرها، ثم تأتي مسألة الحاجة إلى الأمان وهي أيضا موكلة بالأب وبعدها تأتي الحاجات النفسية ومنها الحاجة إلى الحب.

يقول جاري تشابمان في كتابه لغات الحب الخمس: (لكل طفل احتياجات عاطفية أساسية لابد أن تلبى إذا كنا نرغب في طفل مستقر من الناحية العاطفية وأهم شيء هو احتياجات الحب والمودة، فالإحساس بالرغبة والإنتماء هو ما يحتاج إليه الطفل وبدون الحب سيكون شخصا متخلفا من الناحية العاطفية والاجتماعية. ويضيف: في داخل كل طفل خزان للعاطفة في انتظار أن يملئ بالحب، فعندما يشعر الطفل أنه محبوب فإنه سينمو بشكل طبيعي ولكن عندما يكون خزان الحب فارغا سيتصرف الطفل بشكل غير سوي فأكثر السلوكيات السيئة التي تصدر عن الأطفال تكون بسبب الرغبة الملحة في ملء هذا الخزان[٥٠].

وفي دائرة اهتمام الإمام علي (عليه السلام) بالأيتام نرى أنه أعطى أهمية للحاجات الفسيولوجية والنفسية ففي الرواية:

عن حبيب بن أبي ثابت أنّه قال: جيء بمقدار من العسل إلى بيت المال، فأمر الإمام عليّ (عليه السلام) بإحضار الأيتام، وفي الحين الذي كان يقسم العسل على المستحقّين كان بنفسه يطعم الأيتام من العسل، فقيل له يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال:

إنّ الإمام أبو اليتامى وإنّما ألعقتهم هذا برعاية الآباء[٥١].

إنه يطعمهم العسل كإشباع غذائي وهو يطعمهم بنفسه ليسد حاجة هؤلاء اليتامى إلى الشعور بالحب أي إشباع عاطفي.

وفي الرواية: ذات ليلة جاء الإمام علي (عليه السلام) بالطعام إلى أسرة فقدت معيلها وفيها أيتام، فوجد بين الأيتام طفلاً لا يهدأ، فسأله الإمام (عليه السلام) عن سبب ذلك. فقال الطفل: إن الأطفال يقولون لي أن لا أب لك.

فقال له الإمام (عليه السلام): قل لهم إن علياً هو أبي.

(٦) توجيه الرأي العام نحو الأيتام

وذلك يتجلى من خلال الوصية الأخيرة بهم حيث قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «**الله الله في الأيتام فلا تغبّوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم**»[٥٢].

ومن البديهي أن الوصية هي الكلام الأخير والأمر الأخير الذي يجب تنفيذه وعلى هذا فقد خصهم بالذكر خاصة وأنه كان راعيا للكثير منهم وكان يقدم لهم المؤونة اللازمة، على هذا كانت وصيته (عليه السلام) دعوة خالدة إلى رعاية اليتامى والاهتمام بهم، وهي دعوة إلى عدم تضييعهم، والتضييع قد يكون ماديا من خلال رميهم إلى أزقة التسول الآسنة وقد يكون التضييع معنويا من خلال عدم توجيههم الوجهة الصحيحة والسليمة ولهذا رأينا أبناء علماء ضاعوا في أحابيل الضلال لعدم تعهدهم ومنذ طفولتهم بالتوجيه الديني الصحيح. فالرعاية مادية ومعنوية، نفسية وبدنية، دنيوية وأخروية.

(٧) الاستمرارية (فلا تغبّوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم)

وذلك من خلال تقديم المعونة إليهم بإستمرار وعدم قطعها لأنهم يعتمدون على هذه المعونة

كليا فليس من الصحيح أن يعيش اليتامى على مساعدات وقتية أو متقطعة، والأفضل أن يكون هناك برنامج خاص لرعايتهم كمثل الذي تقوم به بعض المؤسسات الاجتماعية حيث تخصص لهم مرتبا شهريا وهذا له أثر في تعزيز الشعور بالكرامة عندهم من ناحية وفي انقاذهم من مخاطر التسول والإنحراف كما تسهم في دعم الصحة النفسية لهم من خلال زيادة الشعور بالأمن المستقبلي.

وقد أشرت في النقطة الأولى إلى رعاية الدول لهم وخاصة لأيتام الشهداء إلى حين مماتهم.

(٨) محاسبة النفس عند رؤية أيتام بلا معيل

كلنا مسؤولون عن رعاية الأيتام وخاصة أيتام الشهداء باعتبار أنهم قدموا التضحيات من أجل أن تنتصر الأمة ويحيا الآخرون بكرامة، ولهذا فكل قصور في رعاية هؤلاء يحمل وزره الجميع، والمطلوب أن يتحرك الجميع كلّ قدر استطاعته وضمن الأماكن القريبة منه ليكون عونا لهؤلاء اليتامى، وقد لا يقدر بعضنا على تقديم المال أو غيره لكنه حتما قادر على إسباغ الحب والحنان ومداراة اليتيم نفسيا، كما يمكن للجميع ارشاد الأرامل إلى المؤسسات الراعية لليتامى وتعريف هؤلاء اليتامى لدى هذه المؤسسات ولله الحمد فإن هذه المؤسسات موجودة في كل مكان وفي كل المحافظات، وحتى إذا لم نستطع كل هذا فأبواب الدعاء مفتوحة فلندعُ لهم أن يعوضهم الرحمن عن فقدانهم لآبائهم وأن يرزقهم خير الدنيا والآخرة.

(٩) الحث والتشجيع

قال (عليه السلام): «من رعى الأيتام، رُعي في بنيه»[٥٣].

لماذا يوجه الإمام (عليه السلام) الأنظار إلى الأبناء؟ إنها التفاتة تربوية مهمة فليس هناك شيء أغلى للفرد من أبنائه، فجل تفكير الإنسان في بنيه وفي ما يوفره ويتركه لهم وقد يسوقه الحب الأعمى إلى إرتكاب الحرام لأجلهم قال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(٥٤) وهو (عليه السلام) بكلامه يدعو إلى التفكير المستقبلي في الأولاد من خلال مايقوم به الآباء، فمن رعى الأيتام رعي في بنيه والكلام عام يشمل الكل حتى أولئك الذين لا يفكرون بالآخرة، فربما يكون حرصهم على أولادهم سببا لرعاية الأيتام.

تجليات رعاية اليتيم على اليتيم نفسه والمجتمع

إن رعاية الأيتام والاهتمام بشأنهم يسهم كثيرا في تخليصهم من العقد والاضطرابات النفسية فضلاً عن أن العناية باليتامى تساعد على تنمية الإدراك الصحيح للمفاهيم الإيجابية في الحياة كالإيثار والرفق والمداراة مما يترك أثره في التوجيه السليم نحو هذه القيم، اضافة إلى أن هذه الرعاية تكون سبباً لتنشئتهم التنشئة السليمة بعيدا عن استغلال الطامعين والانتهازيين، مما يعني تنمية الإنسان الصالح في المجتمع القادر على تحمل مسؤولياته المستقبلية.

ومن ناحية أخرى فإن رعاية الأيتام تترك أثراً على القائمين بها، إذ أنها تترك أثرا إيجابيا من خلال المسح على رؤوس اليتامى والابتسام في وجوههم حيث يتخلص الفرد من الطاقة السلبية التي عنده ويستبدلها بأخرى إيجابية وذلك لأن الاطفال الصغار يمثلون واحدا من محطات الطاقة الإيجابية مما يسهم في تقليل التوتر والاكتئاب والقلق وواحد من أساليب التنمية المعاصرة هو اللعب

مع الأطفال كي يتخلص الفرد من الاضطرابات النفسية بل أن هذه الوسيلة تعدّ من وسائل إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات التي يعاني منها الفرد. وفي الحديث عن رسول الله(ﷺ): «من أنكر منكم قساوة قلبه، فليدن يتيماً فيلاطفه وليمسح رأسه، يلين قلبه بإذن الله، فإنّ لليتيم حقّاً»[٥٥] هذا بالاضافة إلى الأجر الكبير والمكانة القريبة من الرسول (ﷺ). فعن النبيّ (ﷺ) أنّه قال: «من مسح يده على رأس يتيم ترحّماً له، كتب الله له بكلّ شعرة مرّت عليها يده حسنة»[٥٦].

اضافة إلى أن هذه الرعاية ستسهم في بناء المجتمع من خلال ضخ النماذج الإنسانية السليمة القادرة على خدمة المجتمع فضلاً عن تخليص الأفراد من نزعة الأنانية والدوران على الذات وتعزيز مبادئ التكافل الاجتماعي.

التوصيات

(١) إن رعاية الأيتام مسؤولية الكل ابتداءً من القيادات العليا والمرجعيات والمؤسسة الدينية والاجتماعية إلى عموم الأفراد، كل حسب قدرته ولابد من الاقتداء بسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) من خلال تعامله مع الأيتام.

(٢) لابد أن يأخذ الإعلام دوره الأساس في رعاية الأيتام عن طريق الحث والتشجيع وعرض النماذج الإيجابية للمتطوعين بالرعاية.

(٣) السعي لتخصيص رواتب مستمرة للأيتام حتى يصلوا إلى الوقت الذي يكونون فيه قادرين على إعالة أنفسهم.

(٤) متابعة المؤسسات التي تدّعي رعاية الأيتام، فكثير منها له أغراض سيئة وأهداف مشبوهة ينبغي على الجهات المعنية كشفها وحماية الأيتام والأطفال منها.

(٥) يفترض أن تكون هناك فرق متابعة لدور الأيتام ونصب كاميرا خفية، فللأسف الكثير منها هي دور إيذاء الأيتام وليس دور رعاية.

(٦) السعي لإكساب الأيتام التعليم المهني الذي يمكنهم من الاستمرار في الدراسة حتى بعد قطع المعونات حين الوصول للسن القانونية.

(٧) الاهتمام بأسر الشهداء على اختلاف صنوفهم وإقامة ندوات ودورات للأمهات للتعريف بالآليات السليمة في التعامل مع أبنائهم اليتامى.

(٨) رعاية الموهوبين والمتفوقين وتوفير فرص للدراسة الأكاديمية حتى المراتب العليا.

الهوامش

(١) إبراهيم الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، ط(٢)، دار إحياء التراث، مادة يتم، ٢/ ١٠٦٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، الجزء ١٥.

(٣) الطوسي، المبسوط ،ج٢،ص٢٨١.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٢٠.

(٥) سورة الفجر، الآية ١٧.

(٦) سورة البلد، الآية١٥.

(٧) سورة الإسراء، الآية ٣٤.

(٨) سورة الماعون، الآيتان ١-٢.

(٩) سورة الضحى، الآيتان ٦-٨.

(١٠) سورة الإنسان، الآية ٨٨.

(١١) علي بن بابويه، فقه الرضا (عليه السلام)، ص ١٧٢.

(١٢) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٧٠٨.

(١٣) المجلسي، بحار الانوار- ج٧٩- ص٩٢.

(١٤) الكليني، الكافي،ج١، ص٤٠٦.

(١٥) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ١٩٢.

(١٦) سورة النساء، الآية ٩.

(١٧) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ص٢٣٤.

(١٨) الكليني، الكافي، ج١ ص٤٠٦.

(١٩) نهج البلاغة، قصار الحكم، حكمة رقم ١٦٣.

(٢٠) المصدر نفسه، حكمة ٣١٦.

(٢١) المجلسي بحار الانوار، ج٤٧، ص ٧٢.

(٢٢) سورة الضحى، الآية ٦.

(٢٣) المجلسي، البحار، ج٤٣، ص٢٧، وكذلك في الخرائج والجرائح، ج٢، ص٥٢٩، ح ٤.

(٢٤) نهج البلاغة، رسالة رقم ٥٣، ص٤٢٦.

(٢٥) نهج البلاغة، ضبط صبحي صالح، رسالة رقم ٤٧، ص ٤٢١.

(٢٦) غب القوم: جاءهم يوماً وترك يوماً، أي صِلوا أفواههم بالاطعام ولا تقطعوه عنها

(٢٧) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج٤، ص ٢٠٤.

(٢٨) غرر الحكم، ص٣٤٤.

(٢٩) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٣، ص١٩٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ج٤١، ص٥.

(٣١) محمد باقر المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، ج٧، ص١٤٩.

(٣٢) نهج البلاغة، ضبط صبحي صالح، رسالة ٤١.

(٣٣) كاظم مدير، الحكم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، ج١، ص٣٣٣.

(٣٤) الكليني، الكافي، ج١، ص ٤٠٦.

(٣٥) الطوسي، المبسوط، ج٢، ص٢٨١.

(٣٦) الطبرسي، مكارم الاخلاق، ص٢٣٤.

(٣٧) المجلسي، بحار الأنوار، جزء٤٧، ص٧.

(٣٨) نهج البلاغة، رسالة ٤٥.

(٣٩) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٤٠) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ج١، ص٤٧٨، ح١٦٥١.

(٤١) نهج البلاغة، الحكم القصار، حكمة ٢٥٧.

(٤٢) المصدر نفسه، خطبة ١٩٨.

(٤٣) العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٩، باب ١٩، ح١.
(٤٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج٩، ص٥٣٦.
(٤٥) الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٣٢١.
(٤٦) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ج٢، ص٤٦.
(٤٧) العاملي، وسائل الشيعة، ج٢١، ص٤٧٩.
(٤٨) المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٩، ص ٢٧١.
(٤٩) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، ص ٨٠.
(٥٠) جاري تشابمان، لغات الحب الخمس، ط٣، مكتبة جرير، السعودية.
(٥١) الكليني، الكافي، ج١، ص٤٠٦.
(٥٢) نهج البلاغة، ص٤٢١.
(٥٣) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١٥، ص ١٦٧.
(٥٤) سورة الأنفال، الآية ٢٨.
(٥٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٣، ص ٢٨٧.
(٥٦) علي بن بابويه، فقه الرضا، ص١٧٢.

المصادر

* القرآن الكريم

(١) أمير المؤمنين (عليه السلام)، نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، ضبط د صبحي صالح؛ انتشارات هجرت، إيران.

(٢) ابراهيم أنيس ورفقاؤه، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤.

(٣) ابن شهراشوب، محمّد بن علي المازندراني، مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، عام ١٩٩١.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين ابوعمرو، دار الفكر، ط٢، ١٩٩٨.

(٥) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣.

(٦) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، المبسوط في فقه الإمامية، دار الكتاب الإسلامي، لبنان.

(٧) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، الناشر المصري الحديث.

(٨) أحمد محمد مبارك الكندري، علم النفس الاسري، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٩٢.

(٩) أبو عبد الله محمد بن البيع الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٨.

(١٠) الحر العاملي، وسائل الشيعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط.١٤٠٤.

(١١) محمد بن علي بن بابويه القمي، الصدوق، ثواب الأعمال، (قم، منشورات الرضا، د.

(١٢) رضي الدين أبو نصر الحسن بن فضل الطبرسي، مكارم الأخلاق، ط٦، (د. م، منشورات الشريف الرضي، ١٩٧٢).

(١٣) محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق عبد الرحيم رباني، (بيروت، دار إحياء التراث).

(١٤) ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، الكافي؛ دار صعب ودار التعارف، بيروت،لبنان.

(١٥) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث، ١٤١٢، بيروت، ط١، لبنان.

(١٦) محمد باقر المحمودي، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، بيروت، مؤسسة المحمودي، د.

(١٧) ميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، (بيروت، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، ١٩٨٧).

(١٨) جاري تشابمان، لغات الحب الخمس، ط٣، مكتبة جرير، السعودية.

(١٩) عبد الواحد الآمدي، غرر الحكم ودرر الكلم، ط٣، طهران، ١٣٦٠ هـ.

(٢٠) عز الدين علي بحر العلوم، مع اليتيم في القرآن والسنة، دار الزهراء، لبنان.

(٢١) علي بن بابويه. فقه الرضا (عليه السلام) تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، إيران، ١٤٠٦.

(٢٢)الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء في إحياء الأحياء، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ.

(٢٣) كاظم مدير، الحكم من كلام الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ط١، إيران، ١٤١٧هـ.

(٢٤) مجلة العلوم الإنسانية عدد ٢٧ سنة٢٠١٦، مقال الحرمان العاطفي عند الطفل اليتيم، فاطمة الزهراء خمويين.

(٢٥) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، الدار الإسلامية للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥. ١٤٠٣ هـ.

شكل رقم (١) هرم أوسلو